البكباشى عبد الرحمن زكى

كاتب وصحفى . ومؤرخ . وفنان ! هذه كلها ألقابه . .

يقف فى مقدمة الصف الأول من قادة الفكر فى الجيش .

وهب حياته ـ منذ حداثة عهده ـ للفكر والمثل الأعلى . وفى سبيل ذلك يضحى بالعرق والضنى والنوم أيضاً . فلا بدع أن تراه منصرفاً عن ملاهى الحياة ومتاعها . منطوياً على نفسه فى صومعة البحث والانتاج .

ولعل أثر نضاله يتبدى فى قوامه الرقيق ، ووجهه الشاحب . أما عيناه فلا تحدثانك بالسر مهما تأملت فيهما .

لا يسهل للمرء أن يمر فى حياته ، فالأبواب موصدة ، والأسلاك من حوله شائكة ! وهو لا ينزل من برجه العاجى إلى أرض المجون . فضلا عن عزوفه عن الندوات العامة . وان كان يرى أحياناً بين مجموعة منتقاة بحرص وحذر .

وبالرغم من وداعته ، وقلبه الكبير . . فشخصيته تملى عليك تقديره واحترامه ، شئت أم لم تشأ . بل وتستحثك لأن تتخير ألفاظك قبل أن تردف بها

قلما تراه مرحاً .. فالحياة فى عرفه رسالة يجب أن يملأ صفحاتها سريعاً خشية أن تتلاشى الفرصة .

ولقد أصاب من قال : إن الابتسامة لاتعرف شفتيه إلا فى المواسم ! أما متى ينفرج ثغره عن ضحكة يردد الفضاء صداها . . فهذا مالا يتسنى معرفته على وجه التحقيق ..

يسير فى الطريق المستقيم رغماً عن عنفوان شبابه . فهيهات أن تجد أثراً لأقدامه فى الوحل ، وهيهات أن يعلق الغبار بأذياله .

يصنع الخير بكل مافى وسعه ، ولكن لمن يستحقه فحسب ـ أما أن تحاول استدراجه لكى يستجديه لك من جهة أخرى ، فهذا مالا يقبله اطلاقاً . . وعذره أنه لايعرض كرامته للمساومة فى سوق الاحسان !!

ميال الى التفاهم ، وان كان يكره النقاش العقيم . صريح إذا تكلم فلا يخدع أو ينافق ، فيلقى فى وجهك مايلقيه الناس من خلفك . صادق إذا انتقد فلا يسف . ولا تحاول أن تعرض نفسك لتهكمه فهو لاذع .. أشد من طلقات مسدس ! !

يتوقد حركة ونشاطاً رغم كثرة أعبائه . فلا يتوانى عن أن يعمل لحظة واحدة .. فهو فى نضال متواصل . وعبثاً تحاول أن ترجوه لكى يرحم نفسه .

ليس من عادته أن يرتد ببصره إلى الوراء ليفاخر بماضيه ، وإنما ليقارن بين أمسه ويومه ، ويشحذ قواه لغده . .

تحوم حوله نظرات الاعجاب ، وان كان لايعدم نظرات الحقد أو

همسات الغيرة والعجز . ولا غرو في ذلك فركنزه الذي بناه برأسه وساعديه ، موضع طموح ومثار رغبة .

وكيف لا ! وقد حدث أن كان يتولى — في وقت واحد — زمام الشئون العامة علاوة على مجلة الجيش والمتحف الحربي ، الثالوث المخلد الذي سيبقى على الأيام منارة للأدب والعلم والمعرفة في النطاق العسكري .

أما متى استهل هذا الأديب طريقه ؟ فعام ١٩٠٤ يلتصق باسمه التصاقه بلقبه ..

نعم في عام ١٩٠٤ . كانت أول نظرة له ألقاها على الحياة في أحضان السودان . بينما كان أبوه الضابط في الجيش يعمل مأموراً في المسلمية إحدى مراكز واد مدني .

ولم يلبث طويلا . فانتقل طفلا صغيراً إلى مصر في معية راعيه الحنون ، الذي سرعان ما نفس عن رغبته بالاستقالة من الخدمة العسكرية ليكون أحد سفراء حضرة صاحبة الجلالة الصحافة . وراح يصدر جريدة السياسة المصورة في القاهرة ، ثم بارحها إلى برلين وفرنكفورت وفينا .. وهو يوالي إصدارها . واستقر أخيراً في مدينة بولونيا الايطالية ..

وظل في منأى عن وطنه . إلى أن طلبت اليه السلطات ذات الشأن مغادرة البلاد في أواخر عام ١٩١٢ .. فعاد إلى الوطن

وعقب أن أتم الصبي دراسته الثانوية في مدرسة السعيدية ونال شهادة البكالوريا عام ١٩٢٣ ، استبد به الشوق إلى الجندية ..

وكان ضمن الدفعة الأولى التى التحقت بالمدرسة الحربية إذ ذاك ، ونظراً لتفوقه أعفى من المصروفات شأن الطلبة النجباء . .

وجاء انتخاب البعثة العسكرية لكلية « وولوتش » فكان بين الأربعة المختارين ، ولكن فى آخر لحظة حدث ما أدى الى تخلفه .

وترك المدرسة الحربية ، ورقى إلى رتبة الملازم الثانى فى يونيه عام ١٩٢٦ . . وشأن كل طالب ممتاز ترك له الحرية فى أن يختار السلاح الذى يرغب الخدمة فيه . فوقع اختياره على مصلحة الأشغال العسكرية ؛ إلا أنه أمضى عاماً كاملا فى الكتيبة الثامنة بنادق مشاة رغماً عن توصية كبير المعلمين العسكريين « روميللى باك » . وقد قيل إنه قصد بذلك تدريبه على شئون المشاة . .

وفى الثالث عشر من شهر يونيو عام ١٩٢٧ ، ألحق بالأشغال العسكرية قبل أن تبارح الكتيبة الثامنة بنادق مكانها إلى السلوم ، وفى ملفه تقرير طيب . .

وقضى الضابط الشاب رتبتى الملازم الثانى والأول فى المصلحة المذكورة متنقلا بين أسوان ومنقباد والمعادى وألماظة والعريش وبورسعيد . .

ثم رشح لبعثة تختص بشئون « الأسلحة والمهمات » إلا أنه اعتذر عن السفر بالرغم من معارضة والده — وكان لم يمض على التحاقه بالأشغال العسكرية سوى أسبوع واحد . .

وانطلق يشق طريقه إلى أن بلغ رتبة البكباشى . .

ولكن ترى ماذا خلف وراءه ؟

ينبغي أن نعود الى الوراء فى الطريق الذى قطعه حتى نصطدم بعامى ١٩٢٤ و ١٩٢٥ . وهناك يجب أن نتمهل قليـــلا ونقف لحظة أو بعض لحظة ونطالع أعداد جريدة السياسة الأسبوعية لنلمس آثاره الأدبية الأولى.

ولا شك سيطول بنا الوقوف . . بل سنعاود قراءة هذه الصحف بشغف ونهم.

أى والله ! انها لفصول أدبية شائقة جرى بها قلمه فى فجر حياته الأدبية أو بعبارة أخرى فى بداية صعوده السلم . تستحق الاكبار نظراً لحداثة عهده

أما ماهيتها . . فهى تتناول «آداب الأمم» أمثال بريطانيا وألمانيا وايطاليا واليونان وغيرها . .

ثمرة بكر ، بيد أنها كانت ناضجة !

ومن ثم اذا جرينا نقتفى آثاره . . نجد مؤلفاته تملأ واجهات المكتبات ودور الكتب . واذا باسمه يملأ آذاننا . . فيتسلل مع كتبه الى البيوت والمنتديات العامة . . ويتنقل بين مجلات شهرية وأخرى أسبوعية.

ولا يلبث أن يطل من أعلى صحيفة يومية فى الشرق !

وصاحبنا واقعى المذهب فى شتى انتاجه . فهو لا يلج باب الخيال ولعل لطبيعته أثراً فى هذا التوجيه .

ومن خصائص أسلوبه التى لا تحتاج الى تبيان جزالة لفظه ووضوح عبارته . وميله للإيجاز ما أمكن.

وعنايته بالمعنى لا تجعله يبخس حق الأسلوب عليه . . فيعتبر من أنصار مدرسة العقاد التى تتعلق بالروح وان كانت لا تهمل البدن !

هذا الأديب الفنان الذى بنى للوطن متحفا حربياً من أعظم متاحف الشرق بأسره ، ويتولى تحرير المجلة العسكرية فى البلاد العربية . . يسخر قلمه

يوحى من ضميره لخدمة المجتمع ، فلا المادة تغريه ، ولا المظاهر تستهويه .

ولا بأس من أن نستوعب مؤلفاته لندرك مدى ما بذل من جهد ، وما سخر من فكر ، وما سطر من بحوث .

فهذه قائمته نضعها تحت الأنظار ، عنوانا شاهداً .. لكل عابر ..

أحاديث فى القيادة (طبعة رسمية)

العلم المصرى « « «

تاريخ الكتائب فى الجيش : ٥ أجزاء « « «

الممهدات لتاريخ الجيش المصرى باشتراك الاستاذ أسد رستم

فى عهد محمد على الكبير (طبعة رسمية)

الجيش المصرى بين أمس واليوم « « «

كيف تقود بلاتونك

الطيران فى العالم

مبادىء الاستراتيجية

جيش مصر فى أربعة آلاف سنة (بالعامية)

مكبث

القاهرة : من الفتح الاسلامى للقرن التاسع عشر (جزءان)

القاهرة : من المعز الى الفاروق

الجيش المصرى فى عهد محمد على الكبير

فى مصر الاسلامية باشتراك الدكتور زكى محمد حسن وجمع من الاساتذة (طبعة المقتطف)

شارلى شابلن

التربية العسكرية

معارك حاسمة فى تاريخ مصر

الجيش المصرى الحديث : جيش الفاروق

قادة الجيش المصرى الحديث

أعلام الجيش والبحرية فى مصر أثناء القرن التاسع عشر

الجيش مدرسة الشعب

أشكال الحرب بالاشتراك مع محمود عيسى

الحرب بين الشرق والغرب

النجاة من الموت بالاشتراك مع البكباشى أحمد عبد العزيز ومحمود عيسى

٢٥ رسالة فى الثقافة العسكرية